مواعظ رمضانية

الجزء الثاني

١١ رمضان شهر الأحداث و الانتصارات العظيمة
١٦ ثمرات ذكر الله تبارك و تعالى
١٢ رمضان شهر الجود و الكرم و العطاء
١٧ رمضان شهر إجابة الدعاء
١٣ رمضان فرصة للعلاج من مرض الشهوات
١٨ غزوة بدر فرقان بين الحق و الباطل
١٤ جملة من أصول العقيدة لعموم المسلمين ١
١٩ القرآن سبيل العزة و النصر للأمة
١٥ جملة من أصول العقيدة لعموم المسلمين ٢
٢٠ فضل العشر الأواخر من رمضان

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

الْمَوْعِظَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

رَمَضَانُ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ وَالِانْتِصَارَاتِ الْعَظِيمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ شَهِدَ شَهْرُ رَمَضَانَ العَدِيدَ مِنَ الأَحْدَاثِ الفَارِقَةِ فِي مَسِيرَةِ التَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ عَامَّةً، وَالإِسْلَامِيِّ خَاصَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ:

❁ بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُزُولُ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ:

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ الْجِسَامِ وَالْانْتِصَارَاتِ الْعِظَامِ، وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي شَهِدَهَا الْعَالَمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهَا: بَدْءُ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ النُّزُولُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدِ اعْتَادَ فِي رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ عَامٍ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ غَارِ حِرَاءٍ بِمَكَّةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَحَنَّثَ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ يَأْخُذُ مَعَهُ ﷺ مَا تَيَسَّرَ مِنْ زَادٍ(١).

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٢٢، رقم (٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١٣٩، رقم (١٦٠)، من حديث: عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ

فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَدَأَ الْوَحْيُ الْمَعْصُومُ الَّذِي غَيَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَدْيِهِ الدُّنْيَا كُلَّها، وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، بَدَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

فَهَذَانِ مَوْضِعَانِ دَلَّ فَيهِمَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَدْءًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَهَذَا الْحَدَثُ الْفَرِيدُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا كَانَ فَارِقًا بَيْنَ عَهْدَيْنِ؛ بَيْنَ مَا قَبْلَ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ رِسَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ آخِرُ رِسَالَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ.

❁ غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ:

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: نَمَا إِلَىٰ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي عِيرٍ عَظِيمَةٍ، وَقَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ، وَمَالٍ وَفِيرٍ، ورِزْقٍ غَزِيرٍ قَدْ خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ، فخَرَجَ النّبِيُّ ﷺ أَوْ أَرْسَلَ، فَلَمْ يُدْرِكْ[1].

=

-وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ،... الحديث.

(١) «**السيرة**» لابن هشام: ١/ ٦٠٦، و«**تاريخ الرسل والملوك**» للطبري: ٢/ ٤٢١-٤٧٩، و«**دلائل النبوة**» للبيهقي: ٣/ ٢٩-٣٥، و«**البداية والنهاية**» لابن كثير: ٣/ ٣٣-٣٥.

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِيَتَعَرَّضَ لِلْعِيرِ(١)؛ لِيَرُدَّ بَعْضَ ما سُلِبَ مِمَّا نَهَبَتْ قُرَيْشٌ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُبْقِ لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ شَيْئًا من مالٍ أو متاعٍ؛ حَتَّىٰ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ فَاتِحًا، فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَنْزِلُ فيهِ، وقَدْ قِيلَ لَهُ: فَلْتَنْزِلْ في دَارِكَ وَدَارِ أَبِيكَ.

فَقَالَ ﷺ: «**وهَلْ أَبْقَىٰ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ؟!**»(٢).

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِمَكَّةَ دَارٌ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-، فَنَزَلَ عِنْدَ أُمِّ هَانِئٍ(٣).

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٧/ ٢٨٥، رقم (٣٩٥١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢١٢٠، رقم (٢٧٦٩)، من حديث: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ: «**خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ**».

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٤٥٠، رقم (١٥٨٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٩٨٤ و٩٨٥، رقم (١٣٥١)، من حديث: أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دُورٍ**»، وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبَا طَالِبٍ هُوَ وَطَالِبٌ، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ وَلَا عَلِيٌّ رضي الله عنهما، شَيْئًا لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِبٌ كَافِرَيْنِ.

وفي رواية لهما: «**وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا؟**».

(٣) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٨/ ١٩، رقم (٤٢٩٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٤٩٧، رقم (٣٣٦)، من حديث: أُمِّ هَانِئٍ، قَالَتْ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا، ثُمَّ صَلَّىٰ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ**،...» الحديث، وقد ورد أنه ﷺ نزل بالمحصب؛ فأخرج البخاري: ٣/ ٤٥٢ و٤٥٣، رقم (١٥٨٩ و١٥٩٠)، ومسلم:

وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكانَتْ مَعرَكَةً حَاسِمَةً فَاصِلَةً فِي تَارِيخِ المُسلِمِينَ، وسُمِّيَتْ بِـ«يَومِ الفُرْقَانِ»؛ حَيْثُ فَرَقَتْ بَينَ زَمَنِ الاسْتِضْعَافِ، وَزَمَنِ قُوَّةِ المُسْلِمِينَ، فَرَقَتْ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَلا ضَيرَ فَهِيَ فِي شَهرِ رَمَضانَ، شَهْرِ الفُرْقَانِ.

نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَأَعَزَّ حِزْبَهُ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، فَذَبَحُوهُمْ ذَبْحًا، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وعَادُوا ظَافِرِينَ مُظَفَّرِينَ.

وَعَادَتْ قُرَيْشٌ تَنْدِبُهَا نَوَادِبُهَا، وَتَنُوحُ عَلَيْهَا نَوَائِحُهَا، وَتَبْكِي دَمًا، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ مَعَهُ.

=

٢/ ٩٥٢، رقم (١٣١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أَرَادَ قُدُومَ مَكَّةَ: «مَنْزِلُنَا غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الكُفْرِ» يَعْنِي ذَلِكَ: المُحَصَّبَ.

وفي رواية لمسلم: «**مَنْزِلُنَا -إِنْ شَاءَ اللهُ، إِذَا فَتَحَ اللهُ- الْخَيْفُ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**».

قال ابن حجر في «**فتح الباري**»: ٨/ ١٩ في الجمع بين الحديثين: «وَلَا مُغَايَرَةَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ بِهِ حَتَّىٰ اغْتَسَلَ وَصَلَّىٰ ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ حَيْثُ ضُرِبَتْ خَيْمَتُهُ عِنْدَ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ: الْمَكَانُ الَّذِي حَصَرَتْ فِيهِ قُرَيْشٌ الْمُسْلِمِينَ».

۞ فَتْحُ مَكَّةَ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ فِي رَمَضَانَ:

وَمِنَ الأَحْدَاثِ الفَاصِلَةِ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ: فَتحُ مَكَّةَ(١).

مَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي طَرِيقِهَا، وَفَتَحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَكَّةَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ ظَافِرًا وَمُنْتَصِرًا، وَعَابِدًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَاشِعًا وَمُنِيبًا، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَكَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ صَنَمٌ لِقُرَيْشٍ مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَ، وَقَدْ كُسِرَتْ يَدُهُ الْيُمْنَىٰ؛ فَجَعَلُوا مَكَانَهَا يَدًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ كَبِيرَ آلِهَتِهِمْ، وَهُوَ هُبَلُ(٢).

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَصْنَامِ، فَجُمِعَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ طَافَ ﷺ، وَمَعَهُ رُمْحٌ قَصِيرٌ، فَكَانَ يَطْعَنُ بِرُمْحِهِ ﷺ فِي أَعْيُنِ الْأَصْنَامِ وَفِي أَوْجُهِهَا؛ فَتَخِرُّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ﷺ، وَكَانَ فِي رَمَضَانَ هَذَا الْحَدَثُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ(٣).

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٨/ ٣، رقم (٤٢٧٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٧٨٤، رقم (١١١٣)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا غَزْوَةَ الفَتْحِ فِي رَمَضَانَ**».

(٢) «**الأصنام**» لابن السائب الكلبي: ص٢٧ و٢٨، و«**السيرة**» لابن هشام: ١/ ٨٢.

(٣) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٨/ ١٥ و١٦، رقم (٤٢٨٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٤٠٨، رقم (١٧٨١)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «**جَاءَ الحَقُّ، وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**».

=

۞ حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقَ فِي رَمَضَانَ:

فَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ؛ اسْتِعَدَادًا لِمَا يَكُونُ مِنْ قُدُومِ قُرَيْشٍ وَأَحْلَافِهَا غَازِيَةً مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَمَّا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ نَفْسُهَا؛ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ عَيْنِهَا(١).

۞ فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ:

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالتِّسْعِينَ من هجرة الرسول الأكرم ﷺ: فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَنْدَلُسَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ رَحِمَهُ اللهُ مُرْسَلًا مِنْ قِبَلِ مُوسَىٰ بْنِ نُصَيْرٍ، فَفَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَتْحَهُ(٢).

=

وأخرج مسلم أيضا: ٣/ ١٤٠٥-١٤٠٧، رقم (١٧٨٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ في فَتْحِ مَكَّةَ: «...، أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْحَجَرِ، فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، فَأَتَىٰ عَلَىٰ صَنَمٍ إِلَىٰ جَنْبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْسٌ وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَىٰ الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]،...».

(١) «**السيرة**» لابن هشام: ٢/ ٢١٤، و«**تاريخ الرسل والملوك**»: ٢/ ٥٦٤، و«**دلائل النبوة**» للبيهقي: ٣/ ٣٩٢، و«**البداية والنهاية**»: ٦/ ٨-٣٣.

(٢) «**تاريخ الرسل والملوك**»: ٦/ ٤٦٨، و«**البداية والنهاية**»: ١٢/ ٤٣٦.

❁ مَوْقِعَتَا (مَرْجِ الصُّفَّرِ)، (وَعَيْنِ جَالُوتَ) فِي رَمَضَانَ:

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِئَةٍ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: كَانَتْ «مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفَّر»[١] أَوْ «مَوْقِعَةُ شَقْحَب» الَّتِي كَانَ فِيهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوونَ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ، وَكَانَ مَعَهُمَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ رَحْمَةً وَاسِعَةً-، فَبَدَّدُوا جُمُوعَ التَّتَارِ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا عَزِيزًا مُؤَزَّرًا[٢].

وَقَبْلَ ذَلِكَ فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فَتْحًا عَظِيمًا، فِي «عَيْنِ جَالُوتَ» نَصَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ التَّتَارِ؛ فَانْحَسَرَتْ مَوْجَةُ الْهَمَجِيَّةِ وَالْفَوْضَىٰ عَلَىٰ صَخْرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ بِجُنْدِ الشَّامِ وَجُنْدِ مِصْرَ، فَبَدَّدُوهُمْ كُلَّ مُبَدَّدٍ، وَشَتَّتُوهُمْ كُلَّ مُشَتَّتٍ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَمَنْ نَجَا مِنَ الْقَتْلِ أُسِرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ عَبْدًا ذَلِيلًا.

فَحَسَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تِلْكَ الْمَوْجَةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَاقِعًا فِي رَمَضَانَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ[٣].

---

(١) (مَرْج)، بفتح الميم وسكون الراء، و(الصُّفَّر)، بالضم وتشديد الفاء المفتوحة: سهل واسع يقع علىٰ مسافة (٣٧) كيلا جنوب دمشق، وشرق قرية شقحب، علىٰ جهة الذاهب إلىٰ القنيطرة.

انظر: «**معجم البلدان**»: ٥/ ١٠١، و«**المعالم الأثيرة**»: ص٢٤٨.

(٢) «**نزهة المالك والمملوك**»: ص١٨٧، و«**البداية والنهاية**»: ١٨/ ٢٦.

(٣) «**نزهة المالك والمملوك**»: ص١٤٩، و«**البداية والنهاية**»: ١٧/ ٣٩٩.

لَمْ يُنْصَرِ الْمُسْلِمُونَ قَطُّ إِلَّا تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

❁ حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ:

حَتَىٰ فِي آخِرِ مَا شَهِدَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا العَصْرِ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِين وَثَلَاثِ مِئةٍ وَأَلْف مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَامِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي العَاشِرِ مِنْهُ: (١٠ مِنْ رَمَضَان ١٣٩٣هـ)، وَهُوَ مُوافِقٌ لِلسَّادِسِ مِنَ الشَّهْرِ العَاشِرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِ مِئةٍ وَأَلْف مِنَ التَّارِيخِ النَّصْرَانيِّ (٦/ ١٠/ ١٩٧٣): لمَّا رُفِعَت رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ التَّكْبِيرِ؛ نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ المُسْلِمِينَ.

وَلَم يُنْصَرُوا إِلَّا بِالإِسْلَامِ العَظِيم، وَلَنْ يُنْصَرَ المُسْلِمُونَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الأَرْضِ، وَلا فِي أَيِّ زَمَانٍ مِنَ الأَزْمِنَةِ، وَلنْ تَكُونَ لَهُم شَوْكَةٌ، وَلَنْ تُسمَعَ لهُم كَلِمَةٌ، وَلَنْ تُرْفَعَ لَهُم رَايَةٌ إِلَّا بِالإِسْلَامِ العَظِيمِ، وَبِالتَّوْحِيدِ الكَرِيمِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا وَالمُسْلِمِينَ جَمِيعًا إِلَىٰ الحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا، وَأَحْسِنْ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ[*].

❁ ❁ ❁

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «حَدَثَ في رَمَضَان» - الجُمُعَة ١٠ مِن رَمَضَان ١٤٣١هـ، المُوَافِق ٢٠-٨-٢٠١٠م.

الْمَوْعِظَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:

رَمَضَانُ شَهْرُ
الْجُوَدِ وَالْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ اللهَ رَبَّ العَالمينَ هُوَ الْجَوَادُ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّ اللهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ**». هُنَا عَلَىٰ الْمَصْدَرِ، وَهُنَالِكَ عَلَىٰ الْمُتَّصِفِ بِالصِّفَةِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ١١١، رقم (٢٧٩٩ م)، وابن أبي الدنيا في «**مكارم الأخلاق**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٦/ ٧٠ و ٧١، رقم (٨)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ١٤/ ٢٨٨ و ٢٨٩، ترجمة (١٥٨٥) واللفظ له، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه.

وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ،...**»، وفي أخرىٰ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «**المشكاة**»: ٢/ ١٢٧١ و ١٢٧٢، رقم (٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر والحسن بن علي رضي الله عنهم، وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيزٍ الْخُزَاعِيِّ مرسلا، بنحوه.

فَاللهُ هُوَ الْكَرِيمُ، وَهُوَ الْجَوَادُ، وَيُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ الْجُودَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَرَمَ وَالْجُودَ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ.

وَيَكْرَهُ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- السَّفَاسِفَ، وَالْأُمُورَ الْمُسْتَصْغَرَةَ، وَالْأَحْوَالَ الْمُسْتَرْذَلَةَ.

يَكْرَهُ اللهُ ﷻ سَفْسَافَ الْأَخْلاقِ، ومُنحَطَّهَا، وَيُحِبُّ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مَعَالِيَ الْأُمُورِ.

الجُودُ وَالكَرَمُ فِي رَمَضَانَ

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(١)**: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **قَالَ:** «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَئِذٍ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

وَهَذَا تَشْبِيهٌ عَلَىٰ أَبْلَغِ صُورَةٍ؛ إِذْ شَبَّهَ جُودَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ فِي عُمُومِهَا، وَفِي تَوَاتُرِهَا، وَفِي خَيْرِهَا.

---

(١) «صحيح البخاري»: ١/ ٣٠، رقم (٦)، و«صحيح مسلم»: ٤/ ١٨٠٣، رقم (٢٣٠٨).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَصْفٌ لِخُلُقٍ مِنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا الْخُلُقُ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِهِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ، لَكِنَّهُ يَكُونُ أَعْلَىٰ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ.

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الظَّرْفَ الزَّمَنِيَّ مَحَلًّا لِكَثْرَةِ الْجُودِ، وَلِلْبُلُوغِ بِهِ إِلَىٰ الْـمَحَلِّ الَّذِي لَا يُرْتَقَىٰ.

وَهُوَ ﷺ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ.

وَأَمَّا الْجُودُ: فَإِنَّهُ أَعَمُّ مِنَ الْكَرَمِ؛ لِأَنَّ الْكَرَمَ يَكُونُ عَنِ اسْتِحْقَاقٍ وَسُؤَالٍ، وَأَمَّا الْجُودُ فَإِنَّهُ صِفَةٌ مُلَازِمَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِحْقَاقٍ وَلَا سُؤَالٍ.

وَالْكَرَمُ يَكُونُ عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَالِكَ مُسْتَحِقٌّ فَيُعْطَىٰ، وَعِنْدَمَا يَكُونُ فَقِيرٌ فَيُكْرَمُ، سَوَاءٌ سَأَلَ وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ، أَمْ لَمْ يَسْأَلْ.

فَالْكَرَمُ يَكُونُ عَنِ اسْتِحْقَاقٍ وَسُؤَالٍ، وَأَمَّا الْجُودُ فَهُوَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لِلنَّفْسِ، فَهِيَ تُعْطِي مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِحْقَاقٍ وَلَا سُؤَالٍ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا وَصَفَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَالَهُ «أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْـمُرْسَلَةِ»(١).

وَكَانَ هُوَ ﷺ فِي حَالَتِهِ هَذِهِ أَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ فِي كُلِّ الْعَامِ، وَلَكِنَّ رَمَضَانَ فِيهِ زِيَادَةٌ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَالَاتِهِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ الْعَامِ أَجْوَدَ الْخَلْقِ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا(١)، وَيُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَىٰ الْفَقْرَ(٢). [*].

الصَّدَقَةُ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ

إِنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ، وَهِيَ تَظَلُّ تَعْلُو فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ، وَتَزْدَادُ كُلَّمَا أَمْعَنَّا فِيهِ، وَاقْتَرَبْنَا مِنْ نِهَايَتِهِ، فَتَكُونُ صَدَقَةُ الْفِطْرِ.

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٤/ ٣١٨، رقم (٢٠٩٣)، من حديث: سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِيهَا. فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَطَوَاهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: «مَا أَحْسَنْتَ؛ سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: «وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ»، قَالَ سَهْلٌ: «فَكَانَتْ كَفَنَهُ».

(٢) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٨٠٦، رقم (٢٣١٢)، من حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: «يَا قَوْمِ! أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ».

وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ،... فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّىٰ يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «رَمَضَانُ وَدَعْوَةٌ لِلجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ/ ٧-١٠-٢٠٠٥م.

وَلِيَكُونَ رَمَضَانُ مَدْرَسَةً لِتَدْرِيبِ النَّفْسِ عَلَىٰ هَذَا الخُلُقِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ، فَتَظَلُّ النَّفْسُ تُعْطِي كُلَّ الْعَامِ، وَتَجُودُ بِكُلِّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ للهِ وَحْدَهُ.

فَهَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»(١).

وَمِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ فِي رَمَضَانَ، وَفِي غَيْرِهِ مِنْ شُهُورِ الْعَامِ:

تَفْطِيرُ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَسَقْيُ المَاءِ: فَقَدْ رَغَّبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَسَقْيِ المَاءِ؛ فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**»(٢)، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[*].

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ شَيْئًا

فَلَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ شَيْئًا؛ فَإِنَّ الثَّوَابَ يَتَفَاضَلُ بِحَسَبِ مَا فِي الْقَلْبِ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٣/ ١٦٢، رقم (٨٠٧)، وابن ماجه في «**السنن**»: ١/ ٥٥٥، رقم (١٧٤٦)، من حديث: زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ١/ ٦٢٣، رقم (١٠٧٨).

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ»: الجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/ ٣/ ٨/ ٢٠١٢م.

مِنَ الْإِخْلَاصِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**».

قَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ سِوَىٰ دِرْهَمَيْنِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَرَجُلٌ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَتَصَدَّقَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ بِمَائَةِ أَلْفٍ**»(١).

الدِّرْهَمُ أَفْضَلُ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**».

وَالثَّوَابُ يَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ؛ فَمَنْ أَخْرَجَ صَدَقَةً مُخْلِصًا بِهَا للهِ؛ تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَاللهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُخْلِصِينَ الْمُحْسِنِينَ.

وَالصَّدَقَةُ -عِبَادَ اللهِ- وَالِاسْتِغْفَارُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْخَيْرَاتِ، وَنُزُولِ الْبَرَكَاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الْمُلِمَّاتِ[*].

فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَامَ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ

---

(١) أخرجه النسائي في «**المجتبىٰ**»: ٥/ ٥٩، رقم (٢٥٢٧ و ٢٥٢٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ١/ ٥٢٨، رقم (٨٨٣).

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «زَكَاةُ الْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ» - الجُمُعَةُ ١٢من رجب ١٤٣٦هـ - الموافق ١ من مايو ٢٠١٥ م».

مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ؛ فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ(١).

فَاللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَنَا، وَارْزُقْنَا الْجُودَ وَالْكَرَمَ؛ وَأَنْتَ أَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[*].

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ١٣/ ٤٧٤، رقم (٧٥١٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٧٠٣ و ٧٠٤، رقم (١٠١٦)، من حديث: عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».
وفي رواية لمسلم: ٢/ ٧٠٣: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ**»، وللبخاري: ١٠/ ٤٤٨، رقم (٦٠٢٣): «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «رَمَضَانُ وَدَعْوَةٌ لِلجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ/ ٧-١٠-٢٠٠٥م».

الْمَوْعِظَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:

رَمَضَانُ فُرْصَةٌ لِلْعِلَاجِ مِنْ مَرَضِ الشَّهَوَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(١)، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**».

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**»(٢).

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ.

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا جَعَلَ دُونَ النَّارِ حِجَابًا، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ وَصَلَ إِلَىٰ الْمَحْجُوبِ لَا مَحَالَةَ.

اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ جَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ كَرَامَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَا يَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ؛ فَيَغْفِرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِذَلِكَ ذُنُوبَهُمْ، وَيَحُطُّ عَنْهُمْ آثَامَهُمْ وَأَوْزَارَهُمْ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٢٠، رقم (٦٤٨٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢١٧٤، رقم (٢٨٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢١٧٤، رقم (٢٨٢٢).

وَمِمَّا جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُغْفَرُ فِيهِ الذُّنُوبُ، وَتُحَطُّ فِيهَا السَّيِّئَاتُ، وَتُضَاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ، مَا أَكْرَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أُمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ[*].

الصَّوْمُ دَوَاءٌ لِلْمَرْضَى بِالشَّهَوَاتِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِلتَّوْبَةِ، وَفُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِتَحْصِيلِ التَّقْوَىٰ، وَلِلْاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

«**وَالْمَقْصُودُ مِنَ الصِّيَامِ**: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَفِطَامُهَا عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ، وَتَعْدِيلُ قُوَّتِهَا الشَّهْوَانِيَّةِ؛ لِتَسْتَعِدَّ لِطَلَبِ مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَقَبُولِ مَا تَزْكُو بِهِ مِمَّا فِيهِ حَيَاتُهَا الْأَبَدِيَّةُ.

وَيَكْسِرُ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ مِنْ حِدَّتِهَا وَسَوْرَتِهَا، وَيُذَكِّرُهَا بِحَالِ الْأَكْبَادِ الْجَائِعَةِ مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَتَضِيقُ مَجَارِيَ الشَّيْطَانِ مِنْ الْعَبْدِ بِتَضْيِيقِ مَجَارِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَتُحْبَسُ قُوَىٰ الْأَعْضَاءِ عَنْ اسْتِرْسَالِهَا لِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ فِيمَا يَضُرُّهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا، وَيُسَكَّنُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا وَكُلُّ قُوَّةٍ عَنْ جِمَاحِهِ، وَتُلْجَمُ بِلِجَامِهِ.

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَيْنَ يَدَيْ رَمَضَانَ» -الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٠هـ/ ٧-٨-٢٠٠٩م.

فَهُوَ لِجَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجُنَّةُ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ الْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ؛ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ.

فَهُوَ تَرْكُ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّذَاتِهَا؛ إِيثَارًا لِمَحَبَّةِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَالصِّيَامُ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَالْعِبَادُ قَدْ يَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَىٰ تَرْكِ الْمُفْطِرَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ وَمَوْلَاهُ؛ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ»(١).

يُتَابِعُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بَيَانَ الْمَقْصُودِ مِنَ الصِّيَامِ:

«لِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَىٰ الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا.

فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَىٰ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**». أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

---

(١) «**زاد المعاد**»: ٢/ ٢٧.

(٢) تقدم تخريجه.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النِّكَاحِ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ بِالصِّيَامِ، وَجَعَلَهُ وِجَاءَ هَذِهِ الشَّهْوَةِ(١).

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَصَالِحَ الصَّوْمِ لَمَّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفِطَرِ الْمُسْتَقِيمَةِ؛ شَرَعَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَحِمْيَةً لَهُمْ وَجُنَّةً»(٢).

«وَالصَّوْمُ نَاهِيكَ بِهِ مِنْ عِبَادَةٍ تَكُفُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَتُخْرِجُهَا عَنْ شَبَهِ الْبَهَائِمِ إِلَىٰ شَبَهِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا خُلِّيَتْ وَدَوَاعِي شَهَوَاتِهَا؛ الْتَحَقَتْ بِعَالَمِ الْبَهَائِمِ، فَإِذَا كُفَّتْ شَهَوَاتُهَا للهِ؛ ضُيِّقَتْ مَجَارِي الشَّيْطَانِ، وَصَارَتْ قَرِيبَةً مِنَ اللهِ بِتَرْكِ عَادَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا؛ مَحَبَّةً لَهُ، وَإِيثَارًا لِمَرْضَاتِهِ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ.

فَيَدَعُ الصَّائِمُ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، وَأَعْظَمَهَا لُصُوقًا بِنَفْسِهِ؛ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْجِمَاعِ مِنْ أَجْلِ رَبِّهِ، فَهُوَ عِبَادَةٌ وَلَا تُتَصَوَّرُ حَقِيقَتُهَا إِلَّا بِتَرْكِ الشَّهْوَةِ للهِ، فَالصَّائِمُ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهَوَاتِهِ؛ مِنْ أَجْلِ رَبِّهِ.

وَهَذَا مَعْنَىٰ كَوْنِ الصَّائِمِ قَدْ صَامَ للهِ، فَهَذَا مَعْنَىٰ كَوْنِ الصِّيَامِ للهِ تَعَالَىٰ، وَلِهَذَا فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْإِضَافَةَ فِي الْحَدِيثِ، فَقَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، قَالَ اللهُ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ،**

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٤/ ١١٩، رقم (١٩٠٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ١٠١٨ و١٠١٩، رقم (١٤٠٠)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**».

(٢) «**زاد المعاد**»: ٢/ ٢٨.

يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

حَتَّىٰ إِنَّ الصَّائِمَ لَيَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ مَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي تَحْصِيلِ رِضَا اللهِ جَلَّوَعَلَا.

وَأَيُّ حُسْنٍ يَزِيدُ عَلَىٰ حُسْنِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، وَتَقْمَعُ النَّفْسَ، وَتُحْيِي الْقَلْبَ وَتُفْرِحُهُ، وَتُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، وَتُرَغِّبُ فِيمَا عِنْدَ اللهِ، وَتُذَكِّرُ الْأَغْنِيَاءَ بِشَأْنِ الْمَسَاكِينِ وَأَحْوَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا بِنَصِيبٍ مِنْ عَيْشِهِمْ؛ فَتَعْطِفُ قُلُوبُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَعْلَمُونَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعَمِ اللهِ؛ فَيَزْدَادُوا لَهُ شُكْرًا.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَعَوْنُ الصَّوْمِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ أَمْرٌ مَشْهُودٌ، فَمَا اسْتَعَانَ أَحَدٌ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ بِمِثْلِ الصَّوْمِ.

فَهُوَ شَاهِدٌ لِمَنْ شَرَعَهُ وَأَمَرَ بِهِ أَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا شَرَعَهُ؛ إِحْسَانًا إِلَىٰ عِبَادِهِ، وَرَحْمَةً بِهِمْ، وَلُطْفًا بِهِمْ، لَا بُخْلًا عَلَيْهِمْ بِرِزْقِهِ، وَلَا مُجَرَّدَ تَكْلِيفٍ وَتَعْذِيبٍ خَالٍ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ، بَلْ هُوَ غَايَةُ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ، وَأَنَّ شَرْعَ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ»(٢)[*].

---

(١) «**صحيح البخاري**»: ١٣/ ٤٦٤، رقم (٧٤٩٢)، و«**صحيح مسلم**»: ٢/ ٨٠٧، رقم (١١٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) «**مفتاح دار السعادة**»: ٢/ ٨٦٧ و٨٦٨، (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٣٢هـ).

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «رَمَضَانُ فُرْصَةٌ لِلتَّائِبِينَ» -الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ/ ١٢-٧-٢٠١٣م.

رَمَضَانُ مَدْرَسَةُ تَهْذِيبِ النُّفُوسِ

إِنَّ رَمَضَانَ إِنَّمَا يَكُونُ ذَا أَثَرٍ حَسَنٍ لِمَنْ تَغَيَّرَ بِهِ، لِمَنْ تَفَاعَلَ بِهِ فِي ضَمِيرِهِ وَذَاتِهِ، وَلَا عَجَبَ؛ فَهُوَ مَدْرَسَةٌ لِلتَّهْذِيبِ عَلَىٰ مَدَىٰ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي؛ لِيَتَزَوَّدَ الْعَبْدُ مِنْهُ بِتِلْكَ الرُّؤَىٰ الْمُتَأَلِّقَاتِ فِي تَصَوُّرِهِ، وَبِذَلِكَ النُّورِ الْمُشِعِّ فِي قَلْبِهِ، وَبِذَلِكَ السُّلُوكِ الْمُهَذَّبِ فِي حَيَاتِهِ.

نَعَمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ دُونَ الصِّيَامِ الصَّحِيحِ سِيَاجًا مَضْرُوبًا، مَنِ اخْتَرَقَهُ وَصَلَ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَهُ انْكَشَفَ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنْ حَقِيقَتِهِ.

إِنَّ رَمَضَانَ يُغَيِّرُ الْأَرْوَاحَ، يُغَيِّرُ النُّفُوسَ، مَدْرَسَةٌ مِنْ أَجْلِ إِعَادَةِ الصِّيَاغَةِ.

رَمَضَانُ!!

وَمَا رَمَضَانُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟!!

رَمَضَانُ الَّذِي يُهَذِّبُ.. الَّذِي يُنَقِّي.. الَّذِي يُصَفِّي.

هَذَا هُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَأَمَّا رَمَضَانُ الَّذِي يَلْهُو فِيهِ اللَّاهُونَ، وَيَعْبَثُ فِيهِ الْعَابِثُونَ، وَيَزْدَادُ عَلَىٰ الْحِقْدِ فِيهِ الْحَاقِدُونَ، وَيَتَزَوَّدُ فِيهِ مِنَ الْغِلِّ الْمُتَزَوِّدُونَ؛ أَيُّ رَمَضَانَ هَذَا؟!!

إِنَّمَا رَمَضَانُ مَحْرَقَةٌ تَحْرِقُ كُلَّ مَا سِوَىٰ الْإِيمَانِ فِي حَقِيقَةِ الْقَلْبِ.

إِنَّ رَمَضَانَ لَهُوَ الْأَتُّونُ، يَدْخُلُ فِيهِ الذَّهَبُ الْمَشُوبُ؛ لِكَيْ يَخْرُجَ مِنَ الْجِهَةِ الْمُقابِلَةِ صُرَاحًا خَالِصًا لَا شَائِبَةَ فِيهِ[*].

فَاللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ[*/٢].

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِخْلَاصُ رُوحُ الْإِسْلَامِ» -الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٥هـ/ ١٢-١١-٢٠٠٤م.

[*/٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِخْلَاصُ رُوحُ الْإِسْلَامِ» -الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٥هـ/ ١٢-١١-٢٠٠٤م.

الْمَوْعِظَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

جُمْلَةٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَقُومُ عَلَىٰ أَصْلَيْنِ هُمَا:

أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الِاسْتِسْلَامُ للهِ وَحْدَهُ، بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ.

فَهُوَ الْخُضُوعُ للهِ تَعَالَىٰ، وَالْعُبُودِيَّةُ لَهُ وَحْدَهُ، فَمَنِ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَأَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ فَغَيْرُ مُسْلِمٍ[*].

إِنَّ إِصْلَاحَ الْعَقِيدَةِ -عِبَادَ اللهِ- هُوَ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْقَدَ عَلَيْهِ الْخِنْصَرُ فِي أَخْذٍ بِأَسْبَابِ إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ.

يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ أُمُورَ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ نَلْتَزِمَ بِالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ؛ لِأَنَّ

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» (ص٦) - لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ - تَهْذِيبُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

النَّبِيَّ ﷺ بَلَّغَنَا عَنْ رَبِّنَا جَلَّوَعَلَا أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَبَيَّنَ لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ فَضْلَ التَّوْحِيدِ، وَعَظِيمَ أَثَرِهِ فِي النَّفْسِ، وَفِي الْمَآلِ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ[*].

وَالتَّوْحِيدُ -عِبَادَ اللهِ-: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَيَنْقَسِمُ التَّوْحِيدُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَقَدِ اجْتَمَعَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

* **تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ**: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ.

* **تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ**: وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

فَتَكُونَ عَبْدًا للهِ وَحْدَهُ، تُفْرِدُهُ بِالتَّذَلُّلِ؛ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَتَعْبُدُهُ بِمَا شَرَعَ.

فَيَصْرِفُ الْعَبْدُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِنْ: خَوْفٍ وَرَجَاءٍ، وَرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وَإِنَابَةٍ وَخَشْيَةٍ، وَتَوَكُّلٍ وَخَوْفٍ، وَذَبْحٍ وَنَذْرٍ، وَدُعَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَىٰ لِعَامِ ١٤٢٧هـ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا!» - السَّبْت ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٧هـ/ ٣٠-١٢-٢٠٠٦م.

* **تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**: وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ بِمَا سَمَّىٰ بِهِ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ وَقَعَ انْحِرَافٌ كَبِيرٌ عَنِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَشَابَ صَفْوَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكَدَرِ، فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ الْعَقِيدَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهِيَ عَقِيدَةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وَاعْتِقَادُهُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَىٰ سِوَاهُ.

عَقِيدَتُنَا

عَقِيدَتُنَا: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. هَذَا مُجْمَلُ الْعَقِيدَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه؛ حَيْثُ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»، فَأَخْبَرَهُ.

ثُمَّ قَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ».

فَقَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١). [*].

❖ **الْإِيمَانُ بِاللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هُوَ الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ رَيْبٌ، بِوُجُودِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ، وَبِأُلُوهِيَّتِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ[*/٢].

* **فَنُؤْمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ: أَيْ: بِأَنَّهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ.**

وَدَلِيلُ هَذَا قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ٢٧].

* وَنُؤْمِنُ بِأُلُوهِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَيْ بِأَنَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ: وَهَذَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَالْإِلَهُ بِمَعْنَىٰ: الْمَأْلُوهُ، أَيْ: الْمَعْبُودُ تَذَلُّلًا وَمَحَبَّةً، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ.

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٣٦ و٣٧، رقم (٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ، عَنْ أبيه عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء أيضا في «الصحيحين» من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحو رواية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» (ص٨-١٧) - لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ - تَهْذِيبُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

[*/٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «أُصُولُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» - الْجُمُعَةُ ٧ صَفَر ١٤٣١هـ/ ٢٢-١-٢٠١٠م.

وَدَلِيلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] [*].

* **أَمَّا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**: فَمَعْنَاهُ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ نَبِيُّهُ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتَنْزِيهُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا نَزَّهَ عَنْهُ نَفْسَهُ، أَوْ نَزَّهَهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَشْبِيهٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وَكَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] [*/٢].

مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ يَرْتَكِزُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أُسُسٍ رَئِيسَةٍ:

١- الْإِيمَانُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ نُصُوصُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، إِثْبَاتًا وَنَفْيًا.

٢- تَنْزِيهُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَنْ يُشْبِهَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابٍ: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» (ص١٧-١٩) - لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ - تَهْذِيبُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

[*/٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «أُصُولُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» - الْجُمُعَةُ ٧ صَفَر ١٤٣١هـ/ ٢٢-١-٢٠١٠م.

٣- قَطْعُ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ كَيْفِيَّةِ اتِّصَافِ اللهِ تَعَالَىٰ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥][*].

عِبَادَ اللهِ! نُؤْمِنُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ؛ فَاللهُ وَاحِدٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الثَّابِتَةِ: إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ عُلُوِّ اللهِ تَعَالَىٰ عُلُوًّا ذَاتِيًّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

وَمِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ»(١). [*/٢].

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» (ص٢٣-٢٤) - لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ - تَهْذِيبُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥٣٦، رقم (٧٧٢)، من حديث: حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[*/٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» (ص٢٢-٢٧) - لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ - تَهْذِيبُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

الْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَىٰ صَالِحِهِ، وَعَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

وَأَهَمُّ ذَلِكَ وَأَوْلَاهُ وَأَوَّلُهُ: أَنْ يَحْرِصَ عَلَىٰ نَجَاتِهِ مِنَ النَّارِ، أَنْ يَحْرِصَ عَلَىٰ تَحْصِيلِ رِضَا رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ.

أَنْ يَحْرِصَ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُتَسَنِّنًا مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، مِنَ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا كَانَ وَاعِيًا، عَالِمًا، عَارِفًا بِأُصُولِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، بِأُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ[*].

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين.

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «أُصُولُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» - الْجُمُعَةُ ٧ صَفَر ١٤٣١هـ/ ٢٢-١-٢٠١٠م.

الْمَوْعِظَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ:

جُمْلَةٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَمِنْ أُصُولِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وَمِنْ أُصُولِ عَقِيدَتِنَا:

الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ لَهُ الْخَلْقُ وَالتَّدْبِيرُ.

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٩-٥٠].

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

فَأَيُّ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ، رِزْقُهَا عَلَىٰ اللهِ ﷻ، هُوَ الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ.

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، وَمَتَىٰ شَاءَ، كَيْفَ شَاءَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

فَالْإِيمَانُ بِصِفَةِ الْكَلَامِ: هُوَ الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَزَالُ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، إِذَا شَاءَ، كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَهَذَا الصَّوْتُ لَيْسَ كَأَصْوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ أَتَمُّ الْكَلِمَاتِ صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ، وَحُسْنًا فِي الْحَدِيثِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وَقَالَ: **﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾** [النساء: ٨٧].

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَأَلْقَاهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ، فَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَىٰ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾** [الأنعام: ١٨].

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [يونس: ٣].

وَمَعْنَىٰ: «اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ»: هُوَ الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بَائِنٌ مِنْهُمْ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ.

وَمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ مَعَ خَلْقِهِ:

الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ الْإِحَاطَةَ بِالْخَلْقِ؛ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَسَمْعًا وَبَصَرًا وَسُلْطَانًا.

وَالْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ: مَعِيَّةُ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْحِفْظِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

فَاللهُ تَعَالَىٰ مَعَ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ، وَيَرَىٰ أَفْعَالَهُمْ، وَيُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ.

وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْحُلُولِيَّةُ[1] .....

---

(١) الحلولية عشر فرق، كلها ترجع إلىٰ غلاة الرافضة، وحلول الشيء في الشيء: عبارة عن نزوله فيه، بحيث يكون الإشارة إلىٰ أحدهما عين الإشارة إلىٰ الآخر، والحلول عند الروافض والصوفية: «أن الله يحل بمعاني الربوبية في أجسام الأئمة والعارفين والأولياء، فيزيل عنها معاني البشرية»، فعبدوهم من أجل ذلك!!

=

مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ: إِنَّهُ مَعَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ[*].

- وَمِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ:

۞ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ:

أَنْ يُصَدِّقَ بِوُجُودِهِمْ، وَأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ، خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ فِي الْكَوْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٧].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [فاطر: ١].

وَهُمْ خَلْقٌ مُكَرَّمُونَ، وَهُمْ مَعَنَا، مِنْهُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُنَا إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْجِمَاعِ.

۞ الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ:

الْإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَ«كُتُبِهِ»: تُصَدِّقُ بِهَا وَبِمَا فِيهَا مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ، وَأَنَّ اللهَ أَنْزَلَ تِلْكَ الْكُتُبَ عَلَىٰ رُسُلِهِ؛ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ، وَإِلَى الدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

=

انظر: «**الفرق بين الفرق**» للإسفراييني: ص٢٥٤ - ٢٦٦، الفرقة (١٣١)، و«**الملل والنحل**» للشهرستاني: ١/ ١٧٣، و«**مجموع الفتاوىٰ**»: ٢/ ١٧١ و١٧٢، و«**معجم مصطلحات الصوفية**» للحفني: ص ٨٢.

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» - لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ - تَهْذِيبُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

وَأَعْظَمُ تِلْكَ الْكُتُبِ: الْكُتُبُ الثَّلَاثَةُ: «التَّوْرَاةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالْقُرْآنُ».

وَأَعْظَمُ الثَّلَاثَةِ: «الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ»، وَهُوَ الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَىٰ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

۞ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ:

نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ«رُسُلِهِ»: فَنُصَدِّقُ بِهِمْ جَمِيعًا، مَنْ سَمَّىٰ اللهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُسَمِّ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، آخِرُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

۞ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: يَعْنِي التَّصْدِيقَ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ؛ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَالْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ، وَالْحَشْرِ، وَالْحِسَابِ، وَوَزْنِ الْأَعْمَالِ، وَإِعْطَاءِ الصُّحُفِ بِالْيَمِينِ أَوِ الشِّمَالِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالصِّرَاطِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، مَعَ الِاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا.

۞ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ:

نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ، مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

وَأَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكُفْرٍ وَإِيمَانٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، قَدْ شَاءَهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ وَخَلَقَهُ، وَأَنَّهُ يُحِبُّ الطَّاعَةَ وَيَكْرَهُ الْمَعْصِيَةَ.

وَللْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ، وَاخْتِيَارٌ وَإِرَادَةٌ وَمَشِيئَةٌ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُكْسِبُ الْعَبْدَ صَبْرًا عَلَىٰ الْمَصَائِبِ، وَابْتِعَادًا عَنِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَائِبِ، كَمَا يَدْفَعُهُ إِلَىٰ الْعَمَلِ، وَيُبْعِدُ عَنْهُ الْعَجْزَ وَالْخَوْفَ وَالْكَسَلَ.

عِبَادَ اللهِ! مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ.

* **مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:** أَنَّهُمْ لَا يُكَفِّرُونَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا إِذَا ارْتَكَبَ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

أَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْكَبَائِرِ الَّتِي هِيَ دُونَ الشِّرْكِ، وَلَمْ يَدُلَّ دَلِيلٌ عَلَىٰ كُفْرِ مُرْتَكِبِهَا -كَتَرْكِ الصَّلَاةِ تَكَاسُلًا-؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَرْتَكِبِهَا -أَيْ الْكَبَائِرِ- بِالْكُفْرِ وَإِنَّمَا يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْفِسْقِ وَنَقْصِ الْإِيمَانِ.

وَإِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْهَا فَإِنَّهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ -إِنْ شَاءَ اللهُ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، لَكِنَّهُ لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وُجُوبُ طَاعَةِ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ.

عَبْدَ اللهِ! عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَنْ تَعْرِفَ أُصُولَهُمْ؛ لِتَنْجُوَ أَنْتَ أَوَّلًا، وَلِيُنَجِّيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِكَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ وَمِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ كَتَبَ لَهُمُ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِذْ تُبَيِّنُ لِلنَّاسِ دِينَ اللهِ كَمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ولَنْ تَكُونَ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ حَتَّىٰ تَتْبَعَ أُصُولَهَا، حَتَّىٰ تَكُونَ عَلَىٰ تِلْكَ الْأُصُولِ قَائِمًا، تَحُوطُهَا بِالرِّعَايَةِ، تُحَقِّقُهَا فِي نَفْسِكَ، تَدْعُو إِلَيْهَا، تَثْبُتُ عَلَيْهَا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين[*].

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «أُصُولُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» - الْجُمُعَةُ ٧ صَفَر ١٤٣١هـ/ ٢٢-١-٢٠١٠م.

الْمَوْعِظَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:

ثَمَرَاتُ

ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ جِلَاءُ الْقُلُوبِ، وَصِقَالُهَا وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتِغْرَاقًا؛ ازْدَادَ لِمَذْكُورِهِ مَحَبَّةً، وَإِلَىٰ لِقَائِهِ اشْتِيَاقًا.

وَإِذَا وَاطَأَ فِي ذِكْرِهِ قَلْبُهُ لِلِسَانِهِ؛ نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

بِهِ يَزُولُ الْوَقْرُ عَنِ الْأَسْمَاعِ، وَالْبَكَمُ عَنِ الْأَلْسُنِ، وَتَنْقَشِعُ الظُّلْمَةُ عَنِ الْأَبْصَارِ.

زَيَّنَ اللهُ بِالذِّكْرِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ كَمَا زَيَّنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ، فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ كَالْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَالْأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَالْيَدِ الشَّلَّاءِ.

وَالذِّكْرُ بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ[*].

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ» - الْجُمُعَة ١٧ مِنْ شَوَّال ١٤٣٧هـ/ ٢٢-٧-٢٠١٦م.

الْحَثُّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ**(٢)، **وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

---

(١) «صحيح البخاري»: ١٣/ ٣٨٤، رقم (٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم»: ٤/ ٢٠٦١ و٢٠٦٢، رقم (٢٦٧٥).

وزاد مسلم في رواية: ٤/ ٢١٠٢: «...، **وَاللهِ، لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا**،...» الحديث.

(٢) في رواية الصحيحين: [مِنْهُمْ]، وهذا [مِنْهُ] لفظ مسلم: ٤/ ٢٠٦٧.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ(١)، مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ؛ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**».

وَقَدْ ذَكَرَ العَلَّامَةُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»(٢)، أَنَّ الذِّكْرَ وَرَدَ فِي القُرْآنِ المَجِيدِ عَلَىٰ عَشْرَةِ أَوْجُهٍ، وَدَلَّلَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْأَوْجُهِ:

الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِالذِّكْرِ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢].

الثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

الثَّالِثُ: تَعْلِيقُ الْفَلَاحِ بِكَثْرَتِهِ وَاسْتِدَامَتِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

الرَّابِعُ: الثَّنَاءُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَالجَزَاءُ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) «**صحيح البخاري**»: ١١/ ٢٠٨، رقم (٦٤٠٧)، وأخرجه أيضا مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥٣٩، رقم (٧٧٩)، بلفظ: «**مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**».

(٢) «**مدارج السالكين**»: ٢/ ٣٩٦ و٣٩٧، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٧، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، بتصرف يسير.

الْخَامِسُ: الْإِخْبَارُ عَنْ خُسْرَانِ مَنْ لَهَا عَنْهُ بِغَيْرِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

السَّادِسُ: أَنَّ اللهَ جَعَلَ ذِكْرَهُ لَهُمْ جَزَاءً لِذِكْرِهِمْ لَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

السَّابِعُ: الْإِخْبَارُ أَنَّ ذِكْرَ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الثَّامِنُ: الْإِخْبَارُ عَنْ أَهْلِ الذِّكْرِ أَنَّهُمْ أَهْلُ الِانْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١].

ثَمَرَاتُ ذِكْرِ اللهِ وَمَنَافِعُهُ

فَوَائِدُ الذِّكْرِ وَثَمَرَاتُهُ وَمَنَافِعُهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا؛ وَمِنْهَا(١):

١- الذِّكْرُ يَطْرُدُ الشَّيطَانَ، وَيَقْمَعُهُ وَيَكْسَرُهُ.

---

(١) «**الوابل الصيب**» لابن القيم: ص٩٤-١٩٦، (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ).

٢- ويُرضِي الرَّحمَنَ ﷻ.

٣- ويُزِيلُ الهَمَّ وَالغَمَّ عَن القَلب.

٤- وَيَجلِبُ لِلقَلب الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالبَسْطَ.

٥- وَالذِّكْرُ يُقَوِّي القَلبَ وَالبَدَنَ.

٦- وَيُنَوِّرُ الوَجْهَ وَالقَلبَ.

٧- ويَجلِبُ الرِّزقَ.

٨- وَالذِّكْرُ يُورِثُ مَحَبَّةَ اللهِ لِلْعَبْدِ الَّتِي هِيَ رُوحُ الإِسلَام، وَقُطبُ رَحَىٰ الدِّين.

٩- وَالذِّكرُ يَجْلِبُ مُرَاقَبَةَ العَبْدِ لِرَبِّهِ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ فِي بَاب الإِحسَانِ.

١٠- وَالذِّكْرُ يَحُطُّ الخَطَايَا وَيُذهِبُهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَعظَم الحَسَنَات، وَالحَسَنَاتُ يُذهِبنَ السَّيِّئَات.

١١- وَالذِّكْرُ يُذْكَرُ بِهِ صَاحِبُهُ حَوْلَ العَرْش.

١٢- والذِّكرُ سَبَبُ لتَنَزُّلِ السَّكِينَة، وَغِشْيَانِ الرَّحمَة، وَحُفُوفِ المَلائكَةِ بالذَّاكِر.

١٣- وَهُوَ يَشْغَلُ اللِّسَانَ عَن الغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالكَذِب وَالفُحْش وَالبَّاطِل.

١٤- وَيُؤَمِّنُ العَبدَ مِنَ الحَسرَةِ يَومَ القِيَامَة؛ فَإِنَّ كُلَّ مَجلِس لَا يُذكَرُ اللهُ فِيهِ يَكُونُ حَسْرَةً عَلَىٰ صَاحِبِهِ.

١٥- وَفِي القَلب قَسْوَةٌ لَا يُذِيبُهَا إِلَّا ذِكرُ اللهِ، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُدَاوِيَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ بِذِكْرِ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا.

١٦- إِنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي بِالذَّاكِرِينَ مَلائِكَتَهُ، وَمُدْمِنُ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الجَنَّةَ.

١٧- وذِكرُ اللهِ جَلَّوَعَلَا يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، وَيُيَسِّرُ العَسِيرَ، وَيُخَفِّفُ المَشَاقَّ.

١٨- وَالذِّكْرُ يُعطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَفعَلُ مَع الذِّكرِ مَا لَمْ يُطِقْ فِعْلَهُ بِدُونِهِ.

١٩- وَالذِّكْرُ سَدٌّ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ.

٢٠- وَلِلذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الأَعْمَالِ لَذَّةٌ لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ[*].

نَسْأَلُ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَنْ يُوقِظَنَا مِنْ رَقْدَتِنَا، وَأَنْ يُنَبِّهَنَا مِنْ غَفْلَتِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا ذَاكِرِينَ لَهُ تَعَالَىٰ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ؛ فِي الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ كُلِّهَا كَمَا عَلَّمَنَا نَبِيُّهُ ﷺ، وَعَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ[*/٢].

❀ ❁ ❁ ❁ ❀

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «ذِكْرُ اللهِ وَظِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَة ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ/ ١٥-٩-٢٠١٧م.

[*/ ٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ» - الْجُمُعَة ١٧ مِنْ شَوَّال ١٤٣٧هـ/ ٢٢-٧-٢٠١٦م.

الْمَوْعِظَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

رَمَضَانُ شَهْرُ

إِجَابَةِ الدُّعَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

إِذَا الْتَفْتَّ إِلَىٰ فَاتِحَةِ الكِتَابِ العَزِيزِ، وَخَاتِمَتِهِ بَدَا لَكَ مِنْ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ العَجَبُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ افْتَتَحَ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ بِالدُّعَاءِ فِي سُورَةِ الفَاتِحَةِ دُعَاءَ ثَنَاءٍ، وَدُعاءَ مَسأَلةٍ.

أَمَّا دُعَاءُ الثَّنَاءِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢- ٤].

وَأَمَّا دُعَاءُ المَسْأَلَة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥- ٦].

وَاخْتَتَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كِتَابَهُ الكَرِيمَ بِالدُّعَاءِ فِي سُورَتَي المُعَوِّذَتَيْنِ دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمِّنًا دُعَاءَ الثَّنَاءِ، فَهَذَا مِمَّا يَبْدُو لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلِلمُلْتَفِتِ إِلَىٰ فَاتِحَةِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَخَاتِمَتِهِ[*].

---

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «فَضْلِ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخ ١/ ٣/ ٢٠٠٦م.

فَضْلُ الدُّعَاءِ، وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ

الْتَفِتْ إِلَىٰ عُلُوِّ مَنْزِلَةِ الدُّعَاءِ، وَسُمُوِّ مَرْتَبَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**»(١). [*].

«**لَيْسَ شَيْءٌ**»؛ أَيْ: مِنَ العِبَادَاتِ القَوْلِيَّةِ.

«**أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ**»: أَيْ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ.

فَالدُّعَاءُ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ وَأَرْفَعُ دَرَجَةً وَأَعْلَىٰ قَدْرًا؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ قَدْرِهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَىٰ الِاعْتِرَافِ بِذَلِكَ، مَعَ اعْتِرَافِ الدَّاعِي بِعَجْزِهِ، وَتَبَرِّيهِ مِنْ حَوْلِهِ وَطَوْلِهِ.

«**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**» أَيْ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْعِبَادَاتِ، -وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَشَرَّفُ فِي بَابِهِ- أَكْثَرَ كَرَامَةً، وَأَعْلَىٰ قَدْرًا، وَأَرْفَعَ دَرَجَةً -فَهُوَ أَحْرَىٰ بِالِاسْتِجَابَةِ وَالقَبُولِ- مِنَ الدُّعَاءِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ٤٥٥، رقم (٣٣٧٠)، وابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٢٥٨، رقم (٣٨٢٩).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٢/ ٢٧٦، رقم (١٦٢٩).

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «فَضْلِ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخ ١/ ٣/ ٢٠٠٦م.

«**مِنَ الدُّعَاءِ**» أَيْ: مِنْ سُؤَالِ الْعَبْدِ رَبَّهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِظْهَارَ الْعَجْزِ وَالِافْتِقَارِ، وَالتَّذَلُّلِ وَالِانْكِسَارِ، مَعَ الْاعْتِرَافِ بِقُوَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبِغِنَاهُ وَإِغْنَائِهِ وَكِبْرِيَائِهِ ﷻ، مَعَ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ.

وَالدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ؛ لِذَا قَالَ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

«**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» أَيْ: العِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي تَسْتَأْهِلُ أَنْ تُسَمَّىٰ عِبَادَةً؛ لِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ؛ بِحَيْثُ لَا يَرْجُو العبدُ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا إِيَّاهُ، قَائِمًا بِوُجُوبِ العُبُودِيَّةِ وَوَاجِبِهَا، مُعْتَرِفًا بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ[*].

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: ٢/ ٧٦، رقم (١٤٧٩)، والترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ٢١١، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٢٥٨، رقم (٣٨٢٨)، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: ٥/ ٢١٩، رقم (١٣٢٩).

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الجُزْءُ الرَّابِعُ (ص٣٠٣٧- ٣٠٣٨)، بِاخْتِصَارٍ.

جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَشُرُوطِ قَبُولِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُم مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

فِي هذا الحَدِيثِ أَدَبٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَهُوَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي إِدَامَةُ الدُّعَاءِ، وَأَلَّا يَسْتَبْطِئَ الْمَرْءُ الْإِجَابَةَ.

❁ وَمِنْ جُمْلَةِ آدَابِ الدُّعَاءِ(٢):

- تَحَرِّي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ؛ كَالسُّجُودِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَوْقاتِ.

- وَمِنْهَا: تَقْدِيمُ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، مَعَ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ.

- وَتَقْدِيمُ التَّوْبَةِ، مَعَ الْاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ، مَعَ الْإِخْلَاصِ.

- وَالِافْتِتَاحُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

- وَالْإِتْيَانُ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

- وَالسُّؤَالُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ١٣٩، رقم (٦٣٤٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٠٩٥، رقم (٢٧٣٥).

(٢) «**فتح الباري**» لابن حجر: ١١/ ١٤١.

❁ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ الدُّعَاءِ:

وَالدُّعَاءُ الَّذِي يَدْعُو بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَهُ شُرُوطٌ يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ، منها(١):

- أَلَّا يَسْتَعْجِلَ الدَّاعِي، فَيَقُولُ: دَعَوْتُ اللهَ كَذَا وَكَذَا، وَمَضَتْ عَلَيَّ مُدَّةُ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي، فَيَكُونُ سَبَبًا فِي انْصِرَافِهِ عَنِ الدُّعَاءِ.

ودُعَاءُ العِبَادَةِ وَدُعَاءُ المَسْأَلَةِ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، وَكُلُّهُ دُعَاءُ عِبَادَةٍ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَسْتَعْجِلَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَعَا اللهَ ﷻ -كَمَا ثَبَتَ فِي النُّصُوصِ- كَانَ لهُ أَحَدُ أمورٍ:

إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لَهُ حَاجَتَهُ، فَتُقْضَىٰ وَيَرَاهَا قَدْ قُضِيَتْ، فهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الإِجَابَةِ.

وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ اللهُ عَنْهُ سُوءًا وَشَرًّا لَا يَعْلَمُهُ، فَيَصْرِفُهُ اللهُ ﷻ بِسَبَبِ دُعَائِهِ، وَهَذَا نَوْعٌ قَدْ لَا يَعْلَمُهُ كَيْفَ وَمَتَىٰ.

وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ اللهُ لَهُ الْإِجَابَةَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ عِنْدَمَا يَكُونُ النَّاسُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالفَوْزِ بِالْجَنَّةِ، فَتَكُونُ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةً فِي الْآخِرَةِ.

وَعَلَىٰ هَذَا؛ فَالدُّعَاءُ لَا يَضِيعُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُسِيءَ الظَّنَّ بِاللهِ بِأَنَّهُ دَعَا وَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ.

---

(١) انظر: «**فتح ذي الجلال والإكرام**» لابن عثيمين: ٦/ ٤٥٨ و٤٥٧، (القاهرة: المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

وَمِنْ شُرُوطِ الدُّعاءِ أَيْضًا:

- أَلَّا يَدْعُوَ بِإِثْمٍ، وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، أَوْ يَسْتَعْجِلْ، فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَدَعَ الدُّعَاءَ**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

- وَأَلَّا يَسْأَمَ وَيَمَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ، يَقُولُ: «دَعَوْتُ، وَدَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَهُ يُسْتَجَابُ لِي»، فَهَذَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُعْطِي الْعَبْدَ إِذَا دَعَاهُ بِالْخَيْرِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ[*].

- وَأَنْ يَكُونَ آكِلًا مِنْ حَلَالٍ؛ **فَأَعْظَمُ قَوَاطِعِ الدُّعَاءِ وَمَوَانِعِهِ**: هُوَ أَكْلُ الْحَرَامِ؛ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٠٩٦، رقم (٢٧٣٥)، بلفظ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**».

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الجُزْءُ الرَّابِعُ (ص٢٨٥١-٢٨٥٦)، بِاخْتِصَارٍ.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٧٠٣، رقم (١٠١٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ**

فَأَكْلُ الْحَرامِ يُثْمِرُ هَذَا الثَّمَرَ الخَبِيثَ، وَهُوَ قَطْعُ الدُّعَاءِ، فَلَا اسْتِجَابَةَ، وَلَوْ ظَلَّ يَدْعُو حَتَّىٰ تَفْنَىٰ نَفْسُهُ فِي الدُّعَاءِ؛ لَا يُسْتَجَابُ لَهُ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ[*].

الْحَثُّ عَلَى الِاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمضَانَ

وَشَهْرُ رَمَضَانَ خَصَّهُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ بِخَصَائِصَ بَاهِرَةٍ، وَأَنْزَلَ فِيهِ الآيَاتِ المُبْهِرَةَ؛ فَمِنْهَا:

- أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ يَغْفِرُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ لِلصَّائِمِينَ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ: «**وَلِلهِ جَلَّ وَعَلَا عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ**»(١).

= **بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ: الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ،...**» الحديث.

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «سِلْسِلَةِ: أَكْل الْحَلَالِ» - المُحَاضَرَةِ الْأُولَىٰ، بِاخْتِصَارٍ.

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٣/ ٥٧ و٥٨، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه في «**السنن**»: ١/ ٥٢٦، رقم (١٦٤٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**».

=

- **وَلِلصَّائِمِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ**»(١). [*].

فَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِآدَابِ الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نَعْجِزَ فِي الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ فِي الدُّعَاءِ فِي أَثْنَاءِ الصيامِ، وَأَنْ نَدْعُوَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هَذَا هُوَ أَشْرَفُ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ، يَتَعَبَّدُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»(٢).

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَجَّهَ دَائِمًا وَأَبَدًا إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ نُخْلِصَ الْقُلُوبَ لَهُ، وَأَنْ نَكُونَ مُوَحِّدِينَ؛ حَتَّىٰ يَسْتَجِيبَ لَنَا رَبُّنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ[*/٢].

=

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ١/ ٥٨٥، رقم (٩٩٨)، وأصله في «الصحيحين»، مختصرا، وروي عن أبي سعيد وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي أمامة رضي الله عنهم، وعن الحسن مرسلا، بنحوه.

(١) أخرجه البيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: ٣/ ٣٤٥، رقم (٦٣٩٢)، وابن عساكر في «**معجم الشيوخ**»: ١/ ٣٣٨، رقم (٤٠٥)، والرافعي في «**أخبار قزوين**»: ٣/ ١١٤، والضياء في «**المختارة**»: ٦/ ٧٤ و ٧٥، رقم (٢٠٥٧).

والحديث حسنه بشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: ٤/ ٤٠٦، رقم (١٧٩٧)، وروي عن أبي هريرة بنحوه.

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ»: الجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/ ٣/ ٨/ ٢٠١٢م.

(٢) تقدم تخريجه.

[*/ ٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «فَضْلِ وَآدَابِ الدُّعَاءِ» بِتَارِيخ ١/ ٣/ ٢٠٠٦م.

عِبَادَ اللهِ! اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَاجْتَهِدُوا فِي ذَلكَ أَشَدَّ الاجْتِهَادِ فِي أَثناءِ صَومِكُمْ، وَخُصُوصًا فِي رَمَضَانَ. وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين[*].

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحِ الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - الجُزْءُ الرَّابِعُ (ص٢٨٤٩-٢٨٥٠).

الْمَوْعِظَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:

غَزْوَةُ بَدْرٍ
فُرْقَانٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: نَمَا إِلَىٰ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي عِيرٍ عَظِيمَةٍ، وَقَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ، وَمَالٍ وَفِيرٍ، ورِزْقٍ غَزِيرٍ قَدْ خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ، فخَرَجَ النّبِيُّ ﷺ أَوْ أَرْسَلَ، فَلَمْ يُدْرِكْ.

ثُمَّ نَمَا إِلَىٰ عِلْمِهِ ﷺ بَعْدُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَافِلٌ بِالْقَافِلَةِ، فَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، وَأَرْسَلَ رَجُلَيْنِ عَلَىٰ بَعِيرَيْنِ مِمَّا يُعْلَفُ بِعَلَائِفِ يَثْرِبَ، فخَرَجَا.

وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَدْ كَانَ أَرِيبًا حَصِيفًا رضي الله عنه، فذَهَبَ إِلَىٰ مَجْدِيٍّ، فَسَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ مَا يُرِيبُ؟

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ قَدْ أَنَاخَا بَعِيرَيْهِمَا فِي هَذَا المَوْضِعِ.

فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه، فَفَتَّ البَعْرَ؛ فوَجَدَ النَّوَىٰ -نَوَىٰ يَثْرِبَ-، فَقَالَ: هَذِهِ واللهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَنَا لَبِالْمِرْصَادِ، وَأَرْسَلَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ أَنْ أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، وخَالَفَ هُوَ إِلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ فَنَجَا(١).

---

(١) «**السيرة**» لابن هشام: ١/ ٦١٨، و«**تاريخ الرسل والملوك**» للطبري: ٢/ ٤٣٧، «**دلائل النبوة**» للبيهقي: ٣/ ٣٣، و«**البداية والنهاية**» لابن كثير: ٥/ ٧٧.

وَنَدَبَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلْخُرُوجِ لِلْعِيرِ لَا لِلنَّفِيرِ، فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، جُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ(١)، وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ فِي الخُرُوجِ، وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَجِدُ قِتَالًا، وَلَوْ ظَنُّوا ذَلِكَ مَا تَخَلَّفَ عَنْهُ وَاحِدٌ، وَلَفَدَوْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

❁ سَبَبُ غَزْوَةِ بَدْرٍ:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَعَرَّضَ لِلْعِيرِ(٢)؛ لِيَرُدَّ بَعْضَ ما سُلِبَ مِمَّا نَهَبَتْ قُرَيْشٌ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُبْقِ لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ شَيْئًا من مالٍ أو متاعٍ؛ حَتَّىٰ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ فَاتِحًا، فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَنْزِلُ فيهِ، وقَدْ قِيلَ لَهُ: فَلْتَنْزِلْ فِي دَارِكَ وَدَارِ أَبِيكَ.

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٧/ ٢٩٠، رقم (٣٩٥٦)، من حديث: البَرَاءِ، قَالَ: «...، **وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَىٰ سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ**».
وفي رواية له: ٧/ ٢٩٠ و٢٩١، رقم (٣٩٥٨ و٣٩٥٩)، بلفظ: «**كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ: أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، بِعِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ**،...» الحديث.
والحديث بنحوه في «الصحيحين» من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٧/ ٢٨٥، رقم (٣٩٥١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢١٢٠، رقم (٢٧٦٩)، من حديث: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ: «**خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ**».

فقال ﷺ: «**وهَلْ أَبْقَىٰ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ؟!**»(١).

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِمَكَّةَ دَارٌ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-، فَنَزَلَ عِنْدَ أُمِّ هَانِئٍ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٤٥٠، رقم (١٥٨٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٩٨٤ و ٩٨٥، رقم (١٣٥١)، من حديث: أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دُورٍ؟**»، وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبَا طَالِبٍ هُوَ وَطَالِبٌ، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ وَلَا عَلِيٌّ رضي الله عنهما، شَيْئًا؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِبٌ كَافِرَيْنِ.

وفي رواية لهما: «**وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا؟**».

(٢) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٨/ ١٩، رقم (٤٢٩٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٤٩٧، رقم (٣٣٦)، من حديث: أُمِّ هَانِئٍ، قَالَتْ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا، ثُمَّ صَلَّىٰ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ**،...» الحديث.

وقد ورد أنه ﷺ نزل بالمحصب؛ فأخرج البخاري: ٣/ ٤٥٢ و ٤٥٣، رقم (١٥٨٩ و ١٥٩٠)، ومسلم: ٢/ ٩٥٢، رقم (١٣١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أَرَادَ قُدُومَ مَكَّةَ: «**مَنْزِلُنَا غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الكُفْرِ**» يَعْنِي ذَلِكَ: المُحَصَّبَ.

وفي رواية لمسلم: «**مَنْزِلُنَا -إِنْ شَاءَ اللهُ، إِذَا فَتَحَ اللهُ- الْخَيْفُ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**».

قال ابن حجر في «**فتح الباري**»: ٨/ ١٩ في الجمع بين الحديثين: «وَلَا مُغَايَرَةَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ بِهِ حَتَّىٰ اغْتَسَلَ وَصَلَّىٰ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ حَيْثُ ضُرِبَتْ خَيْمَتُهُ عِنْدَ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ: الْمَكَانُ الَّذِي حَصَرَتْ فِيهِ قُرَيْشٌ الْمُسْلِمِينَ».

إِذَنْ، النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا خَرَجَ لِيَرُدَّ بَعْضَ مَا سُلِبَ مِنْ ثَرْوَاتِ قُرَيْشٍ الَّتِي نَهَبَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا كَانَ فِي هَذَا مِنْ عَابٍ، وَمَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فِي فِعْلِهِ مِنْ تَثْرِيبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِبَعْضِ الحَقِّ السَّلِيبِ.

❁ نُزُولُ النَّبِيِّ ﷺ بَدْرًا:

أَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ يَلْقَىٰ ﷺ النَّفِيرَ، وأَلَّا يَلْقَىٰ العِيرَ وَمَعَهُ هَذِهِ الثُّلَّةُ المُبَارَكَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَدْرًا، وَأَمَّا قُرَيْشٌ؛ فَإِنَّهَا أَعَدَّتْ عُدَّتَها، وجَاءَتْ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأَدْرَكَهُمُ البَشِيرُ؛ أَرْسَلَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَّ اللهَ قَدْ نَجَّىٰ عِيرَكُمْ، وحَفِظَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ؛ فَلَا تَخْرُجُوا لِلِقَاءِ مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ ﷺ.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ: «وَاللهِ لَا نَعُودُ حَتَّىٰ نَنْزِلَ بَدْرًا، حَتَّىٰ نُوقِدَ النِّيرَانَ، ونَنْحَرَ الجُزُرَ، وتَعْزِفَ عَلَيْنَا القِيَانُ، وحَتَّىٰ تَسْمَعَ بِنَا العَرَبُ، فَمَا يَزَالُونَ فِي هَيْبَةٍ مِنَّا أَبَدًا»(١).

وَأَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ العَرَبُ؛ بَلْ أَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ الدُّنْيَا إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَبَدَلَ أَنْ يَنْحَرُوا الجُزُرَ؛ نُحِرُوا هُمْ، وَبَدَلَ أَنْ تَعْزِفَ عَلَيْهِمُ القِيَانُ؛ نَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ، وَبَدَلَ أَنْ يُوقِدُوا النِّيرَانَ؛ أُوقِدَتْ لَهُمُ النِّيرَانُ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

---

(١) «السيرة» لابن هشام: ١/ ٦١٨، و«تاريخ الرسل والملوك»: ٢/ ٤٣٨، و«دلائل النبوة» للبيهقي: ٣/ ٣٣، و«البداية والنهاية»: ٥/ ٧٧ و٧٨.

أَبَوْا أَنْ يَعُودُوا، وَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا كَانَ، وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم، فَتَكَلَّمَ المُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا، وَهُوَ يَقُولُ ﷺ: «**أَلَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ؟**».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، **فَقَالَ**: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللهِ»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْعَةِ العَقَبَةِ، لَمْ يَشْتَرِطْ عَلَيْهِمْ حِمَايَتَهُ خَارِجَ المَدِينَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ، وَكَانَ عِبْءُ المَعْرَكَةِ إِنْ وَقَعَتْ سَيَكُونُ عَلَىٰ كَوَاهِلِ الْأَنْصَارِ رضي الله عنهم؛ لِكَثْرَةِ العَدَدِ، ثُمَّ هُمْ لَمْ يُعْطُوا العَهْدَ وَالمِيثَاقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي البَيْعَةِ بِحِمَايَتِهِ خَارِجَ مَدِينَتِهِ ﷺ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ.

فَقَامَ سَعْدٌ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجَلْ**».

فَقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَاللهِ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا البَحْرَ فخُضْتَهُ؛ لَخُضْنَاهُ خَلْفَكَ، امْضِ لِمَا تُحِبُّ يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَوَاللهِ إِنَّا لَصُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَوَاللهِ إِنَّا لَشُجْعَانٌ فِي الحُرُوبِ... إِلَىٰ آخِرِ مَا قَالَ»، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١).

---

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٤٠٣ و١٤٠٤، رقم (١٧٧٩)، من حديث: أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَىٰ بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا،...الحديث.
ووقع اسم من قام من الأنصار في «**السير**» لابن هشام: ١/ ٦١٥، و«**تاريخ الرسل والملوك**»: ٢/ ٤٣٥، و«**دلائل النبوة**» للبيهقي: ٣/ ٣٤، و«**البداية والنهاية**»: ٥/ ٧٠، وغيرها من كتب السير، أنه: «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، وهو الأقرب؛ فقد قيل: إن سعد بن عبادة مَا شَهِدَ بَدْرًا، انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ١/ ٢٧٠، ترجمة (٥٥).

غَزْوَةُ بَدْرٍ مَعرَكَةٌ فَاصِلَةٌ فِي تَارِيخِ الْمُسلِمِينَ

عِبَادَ اللهِ! لقد وَقَعَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكانَتْ مَعرَكَةً حَاسِمَةً فَاصِلَةً فِي تَارِيخِ المُسلِمِينَ، وسُمِّيَتْ بِـ«يَومِ الفُرْقَانِ»؛ حَيْثُ فَرَقَتْ بَينَ زَمَنِ الاسْتِضْعَافِ، وَزَمَنِ قُوَّةِ المُسْلِمِينَ، فَرَقَتْ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَلا ضَيرَ فَهِيَ فِي شَهرِ رَمَضانَ، شَهْرِ الفُرْقَانِ.

وَدَائِمًا تَكُونُ الْأَحْدَاثُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ: فَسَادٌ يَسْتَشْرِي فِي الْعَالَمِ، وَمُفْسِدُونَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَىٰ أَقْوَاتِ النَّاسِ وَأَرْزَاقِهِمْ، وَعَلَىٰ مُسْتَقْبَلِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ، يُبَدِّلُونَ وَجْهَ الحَيَاةِ المُشْرِقَ، وَيَسْتَعْبِدُونَ الخَلْقَ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَرْكَبُونَ أَكْتَافَ النَّاسِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا حَقٍّ، ثُمَّ تَأْتِي إِرَادَةُ التَّغْيِيرِ، لَا إِرَادَةُ التَّدْمِيرِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَكَانَتْ فُرْقَانًا فِي تَارِيخِ العَالَمِ كُلِّهِ، فُرْقَانًا بَيْنَ عَهْدٍ مَضَىٰ وَعَهْدٍ بَقِيَ، لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللهُ مَتَىٰ يَنْقَضِي!

كَانَتْ فُرْقَانًا كَمَا وَصَفَهَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ وَوَصَفَ يَوْمَهَا، فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَدَارَتْ رَحَىٰ الحَرْبِ الضَّرُوسِ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَمَا مَعَهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الظَّهْرِ، فَكَانَ الثَّلَاثَةُ

وَالْأَكْثَرُ يَتَعَاقَبُونَ عَلَىٰ البَعِيرِ الوَاحِدِ مَرْحَلَةً وَمَرْحَلَةً وَمَرْحَلَةً، ثُمَّ فَلْيَمْضِ البَعِيرُ هَانِئًا مَرْحَلَةً؛ رَحْمَةً وَشَفَقَةً وَعَدْلًا، لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا ظُلْمَ يَلْحَقُهُ، وَبِهِ يَنْصُرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّاسَ.

دَارَتْ رَحَىٰ المَعْرَكَةِ بَيْنَ هَذِهِ الثُّلَّةِ المُبَارَكَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَلْفٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، خَرَجُوا لِلِّقَاءِ، وَخَرَجُوا لِلنِّزَالِ، وَأَمَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّمَا خَرَجُوا لِلْعِيرِ، وَلَمْ يَخْرُجُوا لِلنَّفِيرِ، وَمَا اتَّخَذُوا لِلْأَمْرِ عُدَّةً، وَمَا أَعَدُّوا لَهُ أُهْبَةً، وَإِنَّمَا خَرَجُوا خُرُوجًا يَسِيرًا لَمْ يَعْزِمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَلَا أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ لِحَرْبٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ نَصَرَهُمُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ نَاصِرٌ حِزْبَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ رَايَةَ الحَقِّ، وَهُوَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ نَصَرَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَضْرَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَيَتَوَجَّهُ مُبْتَهِلًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ بِالدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ-؛ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٧/ ٢٨٧، رقم (٣٩٥٣) مختصرا، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٨٣ و١٣٨٤، رقم (١٧٦٣) واللفظ له، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ،...الحديث.

وَالكُفَّارُ يَسْتَفْتِحُونَ: «اللَّهُمَّ عَلَىٰ أَقْطَعِنَا لِلرَّحِمِ، وَعَلَىٰ مَنْ آتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، وَعَلَىٰ أَبْعَدِنَا مِنَ الحَقِّ دِينًا»(١)، يَسْتَفْتِحُ بِذَلِكَ المُشْرِكُونَ الكَافِرُونَ، وَيَسْتَفْتِحُ بِهِ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَكَ أَنْ تَعْجَبَ الْعَجَبَ كُلَّهُ مِنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ!!

فَمَنِ الَّذِي قَطَعَ الرَّحِمَ؛ أَهُوَ أَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

وَمَنِ الَّذِي هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا وَأَقْوَمُ قِيلًا؛ أَهُوَ أَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

وَمَنْ هُوَ الَّذِي هُوَ أَسَدُّ دِعَايَةً، وَالَّذِي هُوَ أَقْوَمُ سَبِيلًا؛ أَهُوَ أَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَأَعَزَّ حِزْبَهُ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، فَذَبَحُوهُمْ ذَبْحًا، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وعَادُوا ظَافِرِينَ مُظَفَّرِينَ، وَعَادَتْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**المصنف**»: ٥/ ٣٤٧، رقم (٩٧٢٥)، وابن هشام في «**السيرة**»: ١/ ٦٢٨، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ١٤/ ٣٥٩ و٣٦٠، وأحمد في «**المسند**»: ٥/ ٤٣٢، والطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: ٢/ ٤٤٩، والحاكم في «**المستدرك**»: ٢/ ٢٣٨، رقم (٣٢٦٤)، والبيهقي في «**الدلائل**»: ٣/ ٧٤، من طرق: عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ، قَالَ:
كَانَ الْمُسْتَفْتِحَ أَبُو جَهْلٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَىٰ الْقَوْمُ: «اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَاحْنِهِ الْغَدَاةَ، فَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحَهُ»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].
قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وهو كما قال.

قُرَيْشٌ تَنْدِبُهَا نَوَادِبُهَا، وَتَنُوحُ عَلَيْهَا نَوَائِحُهَا، وَتَبْكِي دَمًا، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ مَعَهُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين[*].

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَدَثَ في رَمَضَان» - الجُمُعَة ١٠ مِن رَمَضَانَ ١٤٣١هـ/ ٢٠-٨-٢٠١٠م.

الْمَوْعِظَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:

الْقُرْآنُ سَبِيلُ الْعِزَّةِ وَالنَّصْرِ لِلْأُمَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا جَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَرْبُوطَةً بِقَانُونٍ لَا تَخْرُجُ عَنْهُ وَلَا تَتَعَدَّاهُ بِحَالٍ أَبَدًا، قَانُونٌ كَوْنِيٌّ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ فَمِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا مَنَاصَ مِنْ وُقُوعِهِ فِي دُنْيَا اللهِ جَلَّوَعَلَا: عَلَىٰ قَدْرِ اعْتِنَاءِ الْأُمَّةِ بِالْقُرْآنِ تَكُونُ رِفْعَتُهَا وَيَكُونُ عُلُوُّهَا، وَعَلَىٰ قَدْرِ إِهْمَالِ الْأُمَّةِ لِلْقُرْآنِ يَكُونُ انْحِطَاطُهَا وَتَكُونُ ذِلَّتُهَا.

يَقُولُ عُمَرُ رضي الله عنه -فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِإِسْنَادِهِ عَنْهُ-(١): سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ أَعْظَمَ مَا تَصْنَعُونَهُ لِأَبْنَائِكُمْ لِهَذَا الْجِيلِ الَّذِي نَسْأَلُ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَنْ يَجْعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ جِيلِنَا وَمِنَ الْأَجْيَالِ الَّتِي مَضَتْ فِي أَزْمِنَةِ الضَّعْفِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

هَذَا الْجِيلُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جِيلًا قُرْآنِيًّا يُوَحِّدُ مَصْدَرَ التَّلَقِّي مِنْ غَيْرِ التَّقَمُّمِ عَلَىٰ قَاذُورَاتِ وَقِمَامَاتِ الْأُمَمِ الْبَالِيَةِ وَالْأُمَمِ الْحَاضِرَةِ، مِنْ أَخْذٍ بِتِلْكَ

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٢٠٣، رقم (٢٢٣).

الْأَفْكَارِ الَّتِي قَدِ اعْوَجَّتْ، وَاعْوَجَّ مَنْ قَالَ بِهَا، وَاعْوَجَّتْ حَيَوَاتُهُمْ، وَصَارُوا إِلَىٰ الدَّرْكِ الْهَابِطِ وَالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ.

جِيلٌ قُرْآنِيٌّ كَمَا يُرِيدُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّ جِيلَ التَّكْوِينِ -عِبَادَ اللهِ- الَّذِي يَحْمِلُ الْأَمَانَةَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جِيلًا مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ سُوءٍ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، وَلَيْسَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ عِنْدِي، وَإِنَّمَا هُوَ فِعْلُ رَسُولِ اللهِ، وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَأَعْظَمُ مَا آتَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ -عِبَادَ اللهِ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ- كِتَابُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[*].

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ سَبِيلُ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ

لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَبِالسُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ، وَحَمَىٰ الْخَلْقَ مِمَّنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَطَفَّلُوا عَلَىٰ مَوَائِدِ النَّاسِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَإِلَىٰ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

فَكَانَ مَاذَا؟

لَا تَجِدُ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ فِي نُصُوعِهِ وَسُطُوعِهِ، وَإِشْرَاقِهِ وَوُضُوحِهِ، فِي الْفَتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالَّتِي تَلَتْهَا فِي أَيَّامِ الْعِزِّ الْأَكْبَرِ، وَفِي أَيَّامِ الْإِقْبَالِ الْأَعْظَمِ، مَا

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ -١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الثَّانِي ١٤٢٣هـ/ ٦-٩-٢٠٠٢م.

تَجِدُ مَوْقِعَةً مِنَ الْمَوَاقِعِ وَلَا غَزْوَةً مِنَ الْغَزَوَاتِ كَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا يَزِيدُ عَلَىٰ عَدَدِ الْكَافِرِينَ، وَلَا تَجِدُ مَوْقِعَةً وَلَا غَزْوَةً كَانَ عَتَادُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا يَرْبُو عَلَىٰ عَتَادِ الْمُخَالِفِينَ.

فِي أَوَّلِ وَقْعَةٍ أَعَزَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَظْهَرَ فِيهَا فَضْلَهُ، فِي «مَوْقِعَةِ بَدْرٍ» كَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثُلُثَ عَدَدِ الْكَافِرِينَ(١).

وَأَمَّا الْمَتَاعُ فَفِي قِلَّتِهِ، وَأَمَّا الزَّادُ فَفِي نُدْرَتِهِ عَلَىٰ أَمْرٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ، فِي حُرُوبِ الدُّنْيَا سَابِقًا وَلَاحِقًا، وَالْقَوْمُ لَمْ يَخْرُجُوا مُهَيَّئِينَ لِقِتَالٍ وَلَا لِجِهَادٍ وَلَا لِصِرَاعٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا كَمَا وَصَفَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]

فَهُمْ قَدْ خَرَجُوا لِلْعِيرِ لَا لِلنَّفِيرِ، وَخَرَجُوا لِلْغَنِيمَةِ الْبَارِدَةِ يُسْلِمُهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ جَلَّوَعَلَا مِنْ غَيْرِ جِلَادٍ وَلَا صِرَاعٍ، فَفُوجِئُوا بِالْمَعْرَكَةِ قَائِمَةً سَالِحَةً، مُشَمِّرَةً عَنْ بَدَنِهَا وَجَسَدِهَا، مُتَبَرِّجَةً لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ.

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٧/ ٢٩٠، رقم (٣٩٥٦)، من حديث: البَرَاءِ، قَالَ: «...، **وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَىٰ سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ**».
وفي رواية له: ٧/ ٢٩٠ و ٢٩١، رقم (٣٩٥٨ و ٣٩٥٩)، بلفظ: «**كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ: أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، بِعِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ**،...» الحديث.
والحديث بنحوه في «الصحيحين» من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

وَجَدُوا هَذَا الْأَمْرَ قَائِمًا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ، ثَلَاثُمِئَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِي مُقَابِلِ قَرَابَةِ الْأَلْفِ، وَزَادٌ وَعَتَادٌ نَذْرٌ يَسِيرٌ لَا يَقُومُ فِي مَوْقِعَةٍ يَفْصِلُ فِيهَا الْأَمْرُ فِي يَوْمٍ سَمَّاهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا «يَوْمَ الْفُرْقَانِ» فِي يَوْمٍ يَفْرِقُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ.

وَتَبْدَأُ فِيهِ صَفْحَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ صَفَحَاتِ كِتَابِ الْكَوْنِ الْمَنْظُورِ، صَفْحَةٌ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ، هِيَ أَنْصَعُ مَا يَكُونُ نُصُوعًا، حَدٌّ فَارِقٌ، وَأَمَدٌ فَاصِلٌ بَيْنَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ آتٍ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ هَذَا الْعَدَدِ الْيَسِيرِ.

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ سَبِيلُ النَّصْرِ وَالْعِزَّةِ

عِبَادَ اللهِ! عَلَىٰ قَدْرِ أَخْذِكَ بِنَصِيبٍ وَافٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ قَدْرِ مَعْرِفَتِكَ بِاللهِ، وَمَعْرِفَتِكَ بِرَسُولِ اللهِ، وَمَعْرِفَتِكَ بِدِينِ اللهِ، وَمُرَاعَاتِكَ لِحُدُودِ اللهِ، وَأَخْذِكَ بِأَوَامِرِ اللهِ، وَانْتِهَائِكَ عَنْ مَسَاخِطِ اللهِ، وَأَخْذِكَ بِأَسْبَابِ النَّصْرِ وَالْعِزَّةِ.

عِبَادَ اللهِ! اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا نَصْرَ إِلَّا بَعْدَ الِالْتِفَافِ حَوْلَ مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاعْلَمُوا -عِبَادَ اللهِ- أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَوْ تَمَالَأَ عَلَىٰ أَهْلِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْذَلَ الْعَالَمُ كُلُّهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُنْصَرَ أَهْلُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ أَنَّ الْكَافِرِينَ -بَعْدَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ أَجْلَىٰ بَيَانٍ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ- لَوْ أَنْفَقُوا مَا أَنْفَقُوا، وَلَوْ أَنَّهُمْ بَذَلُوا مِنَ الْوُسْعِ مَا بَذَلُوا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْحَرُوا الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَضَعُوا رَايَةَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَبْلُغُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا.

هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُجْرِمُونَ فَاعِلِينَ مَا فَعَلُوا، لَنْ يَبْلُغُوا مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا.

وَلَكِنَّ الشَّأْنَ كُلَّ الشَّأْنِ فِيكُمْ أَنْتُمْ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

اللَّهُمَّ اسْتَعْمِلْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اسْتَخْدِمْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]

الْقُرْآنُ يَدُلُّنَا عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لَوِ الْتَفَفْنَا حَوْلَ كِتَابِ رَبِّنَا جَلَّوَعَلَا فَقَدْ بَدَأْنَا أُولَىٰ خُطُوَاتِنَا إِلَىٰ نَصْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَنَا[*].

نَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ[*/٢].

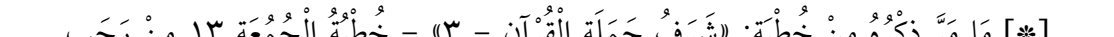

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ - ٣» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٣هـ/ ٢٠-٩-٢٠٠٢م.

[*/ ٢] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ - ٤» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٣هـ/ ٢٧-٩-٢٠٠٢م.

الْمَوْعِظَةُ الْعِشْرُونَ:

فَضْلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ

مِنْ رَمَضَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ مَنَّ عَلَيْنَا فَمَدَّ فِي أَعْمَارِنَا، وَقَدْ أَظَلَّتْنَا أَيَّامٌ عَظِيمَةٌ وَسَاعَاتٌ جَلِيلَةٌ، إِنَّهَا أَيَّامُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَهِيَ بِدَايَةُ نِهَايَةِ الشَّهْرِ الْعَظِيمِ[*].

وَصِيَامُ رَمَضَانَ مَا يَزَالُ يَرْتَقِي بِالنَّفْسِ فِي مَدَارِجِ الكَمَالِ؛ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الصَّائِمُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَفِيهَا الِاعْتِكَافُ؛ لِعُكُوفِ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللهِ، وَلِجَمْعِيَّةِ القَلْبِ عَلَىٰ سَيِّدِهِ وَمَولَاهُ، وَلِلفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ تَعَالَىٰ فِي عُلَاهُ.

وَفِي الْعَشْرِ: الْتِمَاسُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَهِيَ خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

عِبَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ

فِي «**الصَّحِيحَيْنِ**»(١): **عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها **قَالَتْ**: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ» - الجُمُعَةُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِق ٢٤-٦-٢٠١٦م.

(١) «**صحيح البخاري**»: ٤/ ٢٦٩، رقم (٢٠٢٤) واللفظ له، و«**صحيح مسلم**»: ٢/ ٨٣٢، رقم (١١٧٤)، ولفظه: «**إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**».

العَشْرُ؛ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيلَهُ، وَأَيقَظَ أَهْلَهُ». وَهَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ.

قَدْ يَفْهَمُ فَاهِمٌ أَنَّ قولَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَحْيَا لَيلَهُ»: أَنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيلَ كُلَّهُ بِالصَّلَاةِ! وَلَكِنَّهَا قَدْ رَدَّتْ هِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذَا الْفَهْمَ، فَقَالَت: «مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّىٰ لَيلَةً كَامِلَةً حَتَّىٰ أَصْبَحَ»(١).

وَلَكِنْ كيف «أَحْيَا لَيْلَهُ»؟

بِالصَّلَاةِ، بِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ، بِالذِّكْرِ، بِالْفِكْرِ فِي أَحْوَالِ الآخِرَةِ، والْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْقِيَامَةِ؛ يُقَرِّبُ عَبْدَهُ، يُدْنِيهِ، يُلْقِي عَلَيْهِ كَنَفَهُ؛ يُقرِّرُهُ: **«أَتَذْكُرُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَذْكُرُ ذَنْبَ كَذَا؟»**.

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ -أَي: أَذْكُرُ-، أَيْ رَبِّ أَذْكُرُ، حَتَّىٰ إِذَا أَيْقَنَ بِالْهَلَكَةِ؛ قَالَ لَهُ رَبُّهُ -وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ-: **«قَدْ سَتَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهُ لَكَ الْيَوْمَ، وَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥١٤، رقم (٧٤٦)، بلفظ: «...، **لَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا صَلَّىٰ لَيْلَةً إِلَىٰ الصُّبْحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ**،...».

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٥/ ٩٦، رقم (٢٤٤١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢١٢٠، رقم (٢٧٦٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ، قال: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُدْنَىٰ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ**،...» الحديث.

«**أَحْيَا لَيْلَهُ**»: يُحْيِي لَيْلَهُ ﷺ بِالْعِبَادَةِ، وَلَيْسَ شَرْطًا بِالصَّلَاةِ فِي طُولِ اللَّيْلِ؛ فَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ حَتَّىٰ أَصْبَحَ ﷺ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها.

وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: «**أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**» ﷺ.

«**وَجَدَّ**»: فِي الْعِبَادَةِ بِالزِّيَادَةِ عَلَىٰ الْعَادَةِ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ!

«**وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**»: لِلتَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ؛ بِالتَّشْمِيرِ، بِالِاجْتِهَادِ، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اعْتِزَالِ النِّسَاءِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ(١): عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيرِهِ**»؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

خَصَائِصُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ

عَشْرُ رَمَضَانَ الْأَخِيرَةُ فِيهَا الْخَيْرَاتُ الْوَفِيرَةُ، وَفِيهَا الْأُجُورُ الْكَثِيرَةُ، وَفِيهَا الْفَضَائِلُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْخَصَائِصُ الْعَظِيمَةُ.

فَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهِي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَهَذِه أَكْبَرُ خِصِّيصَةٍ كمَا سيأتي الحَدِيثُ عَنْهَا -إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَىٰ-.

---

(١) «صحيح مسلم»: ٢/ ٨٣٢، رقم (١١٧٥).

وَمِنْ هَذِهِ الْخَصَائِصِ:

- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا، وَهَذَا شَامِلٌ لِلْاجْتِهَادِ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ مِنْ صَلَاةٍ، وَتِلَاوَةٍ، وَذِكْرٍ، وَصَدَقَةٍ، وَغَيْرِهَا.

* **وَمِنْ خَصَائِصِ الْعَشْرِ أَيْضًا:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ.

«**أَيقَظَ أَهْلَهُ... أَحْيَا لَيْلَهُ**»: كَأَنَّ اللَّيْلَ كَانَ مَوَاتًا؛ بَلْ كَانَ؛ إِذْ لَا يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ، فَإِذَا عُبِدَ فِيهِ اللهُ؛ حَيِيَ.

«**أَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**»: لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ؛ حِرْصًا عَلَىٰ اغْتِنَامِ هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ؛ لِأَنَّهَا فُرْصَةُ الْعُمُرِ، وَغَنِيمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

وَمِنَ الْخُسْرَانِ الْعَظِيمِ وَالْحِرْمَانِ الْكَبِيرِ: أَنْ يُمْضِيَ الْمُسْلِمُونَ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّمِينَةِ فِي اللَّهْوِ الْبَاطِلِ، وَالْعَبَثِ الْفَاجِرِ، وَاللَّغْوِ الزَّائِلِ، وَهَذَا مِنْ تَلَاعُبِ الشَّيْطَانِ بِهِمْ، وَمِنْ مَكْرِهِ بِهِمْ، وَصَدِّهِ إِيَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَمِنْ إِغْوَائِهِ لَهُمْ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا لِلشَّيْطَانِ اللَّعِينِ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

فَمَنْ تَبِعَ الْغَاوِيَ فَهُوَ غَاوٍ مِثْلُهُ، مَنِ اتَّبَعَ الْغَوِيَّ؛ فَهُوَ غَوِيٌّ أَيْضًا، وَمَنِ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ فَهُوَ مِنَ الْغَاوِينَ، كَمَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَمِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، مِنَ الْخَسَارَةِ الْفَادِحَةِ: أَنْ تُمَضَّىٰ الْأَوْقَاتُ فِي لَيَالِ الْعَشْرِ فِي اللَّهْوِ البَاطِلِ.

وَقَدْ تَكَالبَ الْمُنْحَرِفُونَ وَالْمُنْحَرِفَاتُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فِي مَخَادِعِهِمْ؛ لِيَشْغَلُوهُمْ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْتِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ، وَلِيُغْرُوهُم بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَىٰ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهُ جَلَّوَعَلَا مِمَّا هُوَ فُسُوقٌ مَحْضٌ، وَزَيفٌ صِرْفٌ، وَمَعْصِيَةٌ بَحْتٌ.

- سُنَّةُ الِاعْتِكَافِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَالْتِمَاسُ لَيلَةِ القَدْرِ فِيهَا:

* **مِنْ خَصَائِصِ الْعَشْرِ**: الِاعْتِكَافُ فِيهَا، وَالِاعْتِكَافُ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ(١)؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﷺ مُسَافِرًا فِي جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ لِغَزْوٍ؛ وَذَلِكَ لِالْتِمَاسِ مَرْضَاةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَالْمَقْصِدُ الْأَجَلُّ مِنْ هَذِهِ السُّنَّةِ: تَفْرِيغُ الْقَلْبِ لِلْعُكُوفِ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ؛ لِالْتِمَاسِ الْأَجْرِ بِتَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَبِالْبُعْدِ عَنِ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ مَآسِيهَا وَمَبَاهِرِهَا، بِكُلِّ مَا يَشْغَلُ الْقَلْبَ عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَطَلَبِ الْآخِرَةِ.

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٧١، رقم (٢٠٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٨٣٠، رقم (١١٧١)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ**».

والحديث بنحوه في «الصحيحين» أيضا من رواية عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُصِيبَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ كُلِّهَا.

فَاحْرِصْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ عَلَىٰ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ، عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَخَلِّفْ دُنْيَاكَ وَرَاءَكَ، وَأَقْبِلْ صَحِيحًا؛ حَتَّىٰ تَصِيرَ مُعَافَىٰ.

فَاللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين[*].

[*] مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الصَّائِمُونَ المُفْلِسُون» - الجمعة ١٩ من رمضان ١٤٣٢هـ الموافق: ١٩-٨-٢٠١١م.

فِهْرِسُ الْجُزْءِ الثَّانِي

*** الْمَوْعِظَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: «رَمَضَانُ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ وَالِانْتِصَارَاتِ الْعَظِيمَةِ»** ٣

بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُزُولُ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ..... ٥

غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ٦

فَتْحُ مَكَّةَ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ فِي رَمَضَانَ..... ٩

حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقَ فِي رَمَضَانَ ١٠

فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ..... ١٠

مَوْقِعَتَا (مَرْجِ الصُّفَّرِ)، (وَعَيْنِ جَالُوتَ) فِي رَمَضَانَ ١١

حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا العَصْرِ..... ١٢

*** الْمَوْعِظَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: «رَمَضَانُ شَهْرُ الْجَوَدِ وَالْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ»**..... ١٣

الجُودُ وَالكَرَمُ فِي رَمَضَانَ..... ١٦

الصَّدَقَةُ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ ١٨

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ شَيْئًا ١٩

*** الْمَوْعِظَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: «رَمَضَانُ فُرْصَةٌ لِلْعِلَاجِ مِنْ مَرَضِ الشَّهَوَاتِ»** ٢٣

الصَّوْمُ دَوَاءٌ لِلْمَرْضَىٰ بِالشَّهَوَاتِ ٢٦

رَمَضَانُ مَدْرَسَةُ تَهْذِيبِ النُّفُوسِ ٣٠
* **الْمَوْعِظَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: «جُمْلَةٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ ١»** ٣٣
عَقِيدَتُنَا ٣٧
* **الْمَوْعِظَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: «جُمْلَةٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ ٢»** ... ٤٣
* **الْمَوْعِظَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: «ثَمَرَاتُ ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»** ٥٣
الْحَثُّ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ..... ٥٦
ثَمَرَاتُ ذِكْرِ اللهِ وَمَنَافِعُهُ..... ٥٨
* **الْمَوْعِظَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: «رَمَضَانُ شَهْرُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ»** ٦١
فَضْلُ الدُّعَاءِ، وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ..... ٦٤
جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ، وَشُرُوطِ قَبُولِهِ..... ٦٦
الْحَثُّ عَلَىٰ الِاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ..... ٦٩
* **الْمَوْعِظَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: «غَزْوَةُ بَدْرٍ فُرْقَانٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»** ٧٣
نُزُولُ النَّبِيِّ ﷺ بَدْرًا..... ٧٨
غَزْوَةُ بَدْرٍ مَعرَكَةٌ فَاصِلَةٌ فِي تَارِيخِ الْمُسلِمِينَ..... ٨٠
* **الْمَوْعِظَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: «الْقُرْآنُ سَبِيلُ الْعِزَّةِ وَالنَّصْرِ لِلْأُمَّةِ»** ٨٥
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ سَبِيلُ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ٨٨
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ سَبِيلُ النَّصْرِ وَالْعِزَّةِ ٩٠

* **الْمَوْعِظَةُ العُشْرُونَ: «فَضْلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»** ٩٣

عِبَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ ٩٥

خَصَائِصُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ٩٧

* **فِهْرِسُ الْجُزْءِ الثَّانِي** ١٠١